خواطر تاريخية

عدنان الحسني

قصر الأخيضر ج٣

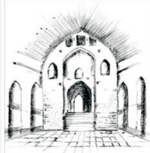

من الصروح العمرانية التي كانت محط اهتمام الباحثين في علم العمارة والاثار وكما تحدثنا في الموضوعات السابقة عن حصن الأخيضر أو قصر الأخيضر كما يطلق عليه في التسميتين، ذلك المعلم العمراني الذي انجذب اليه المهتمون دراسة لما يحتويه من اسس معمارية شيد على طريقتها المثلى.

وقد عالج فيها المهندس كل المعوقات بقوانين مدروسة فيزيائية كانت ام كميائية وقد اخذ المعمار في تشييد هذا المعلمَ بنظر الاهتمام كل المبادي الهندسية في البناء وعالج كل المشاكل المعمارية ومشاكل الطقس والمناخ وحتى الاتجاهات لكل مرافق البناء قد درسها دراسة عميقة بحيث انه اي المعمار قد اهتم بالضوء والريح.. وبكل الظروف المحيطة بهذا البناء.. ولم يغفل اي نقطة تصميمية الا وعالجها باسلوب هندسي علمي مدروس بدقة وتفاصيل.. وحتى تلك الاخطار التي ربما يتعرض لها الحصن من اختراق.

فقد وضع عند مدخل سور القصر وهو السور الاول وبالتحديد عند بوابة القصر تلك الثقوب التي هي في السقف العلوي للمدخل الرئيسي والتي يصب فيها الزيت الحار الذي يغلي لدرجة خطيرة.. من خلال محولات زيتية معدة لهذا الغرض بحيث ان تلك الكميات من الزيت المغلي تكفي لصد عدد كبير من المهاجمين.. فكانت هذه اول دفاعات الحصن عن نفسه..
وحتى السلم المؤدي الى الاعلى من البناء فقد بنى بطريقة هندسية ذكية اذ اخذ المهندس كل المسائل الرياضية الهندسية وعالج من خلالها الصعود الى الاعلى من خلال ذلك السلم المؤدي الى اعلى القصر فيكون الجهد المبذول في تلك الانتقالات رقياً لدرجات السلم يكون جهداً اقل مما لو كانت طريقة تشييد السلم غير التي هي عليه.. اما تلك الفتحات فهي ست فتحات في اعلى سقف الممر.

ويقع بعد هذا الممر ممر ضيق اخر الى يمينه وشماله يقع ممر طويل مغطى بقبود والى جنوبه البهو الرئيسي بارتفاع ١٠،٣٣ مترا تقريبا وعلى جوانب هذا البهو تقع الغرف المعدة للخزن والى الغرب منه يقع المسجد، وقد استخدم المعمار فتحات مستطيلة الشكل في اعلى الممر الضيق للأضاءة حيث روعي في تصميمها مقدار دخول اشعة الشمس للأضاءة . وبالانتقال الى قاعة الشرف التي ابدع في تصميمها المهندس بحيث كانت العناصر التصميمية تؤدي وظائفها بصورة علمية اذ اخذت بالحسبان الأجواء الصحراوية المحيطة بالحصن حتى انه وائم بين تلك العناصر التصميمية من مواد بناء الى شكل هندسي الى حسابات رياضية لتتوازن مع الظروف المناخية وحالات الطقس.

دهوك... تنتشر فيها البلدات المسيحية

أ. فؤاد يوسف منصور

من يطلع على الحياة الحضرية وبناء المدن القديمة في شمال العراق، يجد بوضوح تأثير العمارة والفن الاشوريين في اسس المدينة والبلدات، ويشاهد على الجبال نحت الاشوريين في منحوتات بارزة ضخمة تخليدا لملوكهم حيث حفرت مشاهد انتصاراتهم خاصة في مناطق الموصل ودهوك واربيل وكذلك على طول الاراضي الجبلية التي تجتاز الحدود حتى جنوب تركيا وارمينيا. وهكذا نجد ان بعض المدن والبلدات قد بنيت على انقاض مدن آشورية مثل اديان "دهوك" ومالياتي "معلثايا" وخنس وان معظمها كانت تحمل تعابير ارامية او سريانية خاصة خلال القرون الميلادية الاولى حينما انتشرت المسيحية في العراق وبدأ عصر جديد في الحياة العراقية هو العصر المسيحي-الفارسي بين القرن الاول والقرن السابع للميلاد، حيث ذكر ان في منطقة مركا "دهوك" ضمت "٦٠" مدرسة في الاديرة والكنائس، اضافة الى "٥٠" مدرسة اخرى في جميع انحاء العراق حتى نصيبين شمالا وجنوبا حتى جنديشابور في الاحواز والخليج وخاصة بيث قطرايي والبحرين، وبذلك اصبح احفاد الاقوام الاشورية والبابلية والارامية شعبا صار جسرا حضاريا بين الحضارات القديمة والحضارات الجديدة "ولم يحتفظ هذا الشعب بذكرى اسلافه فحسب بل ادمجها في التقاليد المأخوذة عن الكتاب المقدس. وفي الواقع ان الكتاب المقدس كان عاملا قويا جدا في الحفاظ على ذكرى بلاد بابل واشور لديهم. وقد شخص المسيحيون الموضع الذي كان فيه ابراهام "ابراهيم" ابو الانبياء في اور الكلدانية في جنوب العراق والموضع الذي كان فيه يونان النبي "يونس" الذي حاول بدون جدوى التخلص من الواجب المقدس من دعوة نينوى واهلها الى عبادة الرب، وكانت الرابية التي اختيرت تمثل جزءا من تلك العاصمة العظيمة نينوى حيث بني فوقها مزار للنبي يونان ودير باسمه بقيا حتى القرن العاشر للميلاد عندما اتخذه المسلمون محجا للنبي يونان الذي سمي بيونس" "١"

كانت منطقة دهوك الحالية "محافظة دهوك" تقريبا في العصر المسيحي-الفارسي في العراق بين القرن الاول والقرن السابع للميلاد تسمى "مركا" وهي لفظة سريانية تعني المرج. والمنطقة هي على شكل مثلث تمثل معلثا قاعدته نحو الشمال في سلسلة جبال عقرة، وراسه نحو الجنوب عند ملتقى نهر الزاب بالخازر. ولقد اخذ البلدانيون العرب هذه اللفظة واستخدمت مع قرينة مثل مرج الموصل او مرج ابي عبيدة. وتقسم منطقة "مركا" الى اربعة اقسام: القسم الاول يدعى "سفسافا" او "سفسفو" ويقع فيها دير بيث عابي حيث يعتبر مركزا لنشاط المسيحية اذاك في منطقة دهوك، ثم القسم الثاني الذي يدعى بيرتا ومعناها القلعة، وهي تشكل الجزء الغربي من منطقة مركا. اما القسم الثالث فيشمل نحلا ومعناها الوادي، ولايزال الاسم موجودا وهو نحلاد ملكا اي وادي الملك الواقع وراء جبال عقرة. واخيرا منطقة طلانا اي الظل وهي الواقعة عبر نهر الخازر. وكان مركزا للنشاط والحياة الروحية والثقافية هو دير بيث عابي الذي يقع جنوب بلدة "خربا" الكائنة شمال غربي مدينة عقرة. اما مؤسس الدير فهو الربان يعقوب، وقد اقيم الدير في منتصف القرن السابع، الا ان هذا الدير لم يعمر طويلا اذ ربما هجر قسرا في القرن السابع عشر للميلاد بسبب الاضطهاد الذي بدأ بقتل رئيس الدير مار غريغوريوس حيث اصعدوه على جبل عال ثم طرحوه الى الهاوية، وبعد ذلك جرى نهب وتخريب الدير فكانت نهايته. ويذكر توما المرجي ان في منتصف القرن التاسع كان هنالك في منطقة مركا "دهوك" حوالي "٦٠" مدرسة تنتشر في عموم اديرة وكنائس المدن والبلدات المسيحية لتعليم اللغة السريانية والثقافة المسيحية. كما ادخلت الى طقس الكنيسة النسطورية الترانيم والاناشيد التي تصاحبها الصنوج وبعض الالات الموسيقية الاخرى. ومن ابرز بلدات منطقة مركا كانت مايأتي:-

١. ألسن او "قرد بلاباد" بلدة تقع ازاء جبل مكحول تحت ملتقى دجلة بالزاب الاسفل. وكانت مركز اسقفية "بيث رمان" او بارما. وكان اسقفها في مفتتح القرن التاسع مار نرساي.
٢. زارات وهي قرية "زارني" الحالية في منطقة "كاني ماسي" الواقعة في جيلو الصغيرة على مسافة "٧٠ كم" من شمال شرقي العمادية.
٣. داسن وتقع بين بانوهذراوبيث بغاش، وتشكل داسن منطقة الاثورين الاصلية.
٤. حاطرا "الحضر" جنوبي الموصل على اطراف منخفض الثرثار، وقرية حاطرا في منطقة الطبرهان على مسافة ٨ كم جنوب مدينة تكريت. وتعني حاطرا بالارامية الرحى.
٥. باساوا "بيث زاوا" الواقعة على مسافة "٧ كم" جنوبي قرية خرجاوة.
٦. بيث رستاق، وهي برستك الحالية الواقعة على مسافة "٣ كم" شمال غربي "عين سفين" وهي جغرافيا تقع في بانوهدرا.
٧. معلثا ومعناها المدخل او الباب مثل كلمة دربند الكردية. وهناك اكثر من قرية بهذا الاسم، فمعلثا الواقعة في بانوهدرا التي تشكل المدخل لسهل نينوى، وهناك معلثا القرية الموجود عند خروج الزاب الاعلى قرب جبل بخمة.
٨. خنس او حنس وهي موضع اشوري قديم واقع على نهر الكومل على مسافة "١٠ كم" شمال شرقي قرية "عين سفني".
٩. بيت عيناثا "وهي غير تلك الواقعة في بيت زبدي" وموضعها جنوبي باشوش "شوشن" على مسافة "١٢ كم" غربي مدينة عقرة.

اما اهم الاديرة التي كانت موجودة حتى القرن التاسع على الاقل فهي

١. دير ربان يوسف الشهرزوري قرب بانو هدرا.
٢. دير مركا اسمه ربان بوختيشوع "٧١٤ – ٧٢٨" ويقع في بلدة مرعيث الحديثة على سفح جبل زيناي بالقرب من قرية زيناي او مخمور الحالية.
٣. دير بيث ربان اليشوعياب شيزي.
٤. دير الزعفران او دير "دكوكا" الوقع في منطقة السليفاني فوق قرية "كوني" في الجنوب الغربي من مضيق زاخو.
٥. دير مارافرام وهو على مسافة قريبة من هرماشي في منطقة مزوري اي اتروش "٢".

وكان الاثاري الالماني كونراد بروسير قد سار في رحلة بحث واطلاع على مدن وبلدات شمال العراق وجنوب تركيا في شهر نيسان من عام ١٩٠٩، وكان قد شاهد دير خضر الياس في شمال شرق سور مدينة كلخو "نمرود" شمال الموصل، ثم زار دير ربان هرمز في بلدة القوش، ثم اتجه نحو زاخو حينما وجد امامه جزيرة زاخو الواقعة على ارض صخرية. وزاخو هي المدينة القديمة زاخوتا او "ازوخيس" التي كانت تتصل بالبر عبر جسر على جهة اليسار. وهناك قلعة على جهة اليمين. وكان الاثاري بروسير قد اصطحب معه المطران تيموثيوس ، ولما وصلا القلعة وجدا ان معظم معالمها قد تخربت الا في الجهة الجنوبية حيث وجدا جزءا ثابتا مع سور وبرج ذي ركن هائل وشاهق شيد بالاحجار وهي من القلاع الآشورية او الرومانية وجرى تشييد قلعة على اسسها في العصور الاسلامية. وسعى بروسير لاجتياز جسر الخابور قرب زاخو فوجد ان دعائم الجسر مشيدة على ارض النهر الصلبة والفتحة الوسطية للجسر مقوسة بطول "١٦ م" والطول الاجمالي للجسر هو "١١٤ م" وعرضه "٤،٧٠ م". وان الجسر مبلط بقطع من الحجارة الكبيرة والمرصوفة بشكل مدرج، ويعتقد ان تاريخ تشييده يعود الى القرن الثاني او الثالث عشر. وبعد فترة وصلا الى نهر جبلي يدعى "الحصيل" ثم مر في اليوم التالي على قريتي تخيان ويسيرني المسيحيتين ثم انحدر الى الوادي وادي دجلة الخصيب نحو نهر دوش ومر عند مصبه في نهر دجلة بقرب قرية "زوني" وتابع مسيرته نحو الحدود التركية "٤".

وحاليا تمثل محافظة دهوك المحافظة الثالثة في اقليم كردستان في شمال العراق وتوجد في هذه المحافظة ست مدن رئيسية هي دهوك وزاخو وعقرة وسميل وعمادية والشيخان بالاضافة الى وجود مايقرب من "٤٠٠" بلدة وقرية. تبلغ نفوسها عام ١٩٨٧ اكثر من "٢٩٢٠٠٠" نسمة ويتوقع ان يكون عدد نفوسها اليوم حوالي "٥٠٠٠٠٠" نسمة. واهم هذه المدن ثلاثة سنسعى الى التعريف بها بشكل موجز:-

١. دهوك: DOHUK هي مركز محافظة دهوك، والمدينة المشيدة على انقاض بلدة آشورية قديمة باسم "اديان" ADIAN ويذكر احد المؤرخين الرومان اسمها مكان "جاهوك" في العصر الروماني وذلك في عهد تاسيوس بيزاسيوس، وربما جاء اسمها الكردي دهوك بمعنى القرية الصغيرة. ولم يورد لها ذكر توما المرجي حتى منتصف القرن التاسع.
٢. زاخو: ZAKHO مدينة تقع على نهر الخابور قرب الحدود العراقية – التركية يكون الدخول اليها من ممر جبل "بيخير" واسمها ارامي وهو "زاخوتا" اي الغالبة او الظافرة.وعلى الارجح انها بنيت على انقاض بلدة رافدينية قديمة باسم "كيستة".
٣. عقرة: AQIRA مدينة من بلداتها السورجية والعشائر السبع ونهلة، وتقع على سفح جبلي مدرج، ولذلك تتدرج بيوتها من الاسفل الى الاعلى بشكل طبيعي جميل. وعقر لفظة ارامية معناها "الخربة" ؟!"٤".

المصادر

"١" ساكز، هاري. قوة آشور، ترجمة عامر سليمان. بغداد: منشورات المجمع العلمي، ١٩٩٩ "ص ٤٠٩ – ٤١٠"
"٢" توما اسقف المرج. كتاب الرؤساء، عربه ووضع حواشيه الاب البير ابونا. بغداد: مطبعة ديانا، ط٢ – ١٩٩٠ "ص١١ – ١٣" وتعريف البلدات المسيحية هي للبحاثة البير ابونا.
"٣" بروسير، كونراد. المباني الأثرية في شمال بلاد الرافدين في العصور القديمة والمسيحية، ترجمة علي يحيى منصور. بغداد: المؤسسة العامة للاثار، ١٩٨١ "ص٣٨ – ٤١".
"٤" بابان، جمال. اصول اسماء المدن والمواقع العراقية. بغداد، مطبعة الاجيال، ط٢ /١٩٨٩.

إستنبات الثقافة الديمقراطية ١ــ٢

د. سامر مؤيد

ليست الديمقراطية ثمرة سحرية اقتطفت من جنة الحداثة الغربية لحل أزمات البلدان المتخلفة، وليست هي الغيث المنهمر من سماء العولمة الذي يروي ظمأ أرضنا المجدبة سياسيا. وإذا جاز لنا اختزال ماهية الديمقراطية بمقولة "حكم الشعب للشعب" فان ذلك لن يبيح لنا تحديد دلالتها بكونها محض آلية للحكم أو مجرد مجموعة من الضمانات المؤسسية لحماية حرية الأفراد عارية عن كل عمق اجتماعي أو ثقافي أو حتى تاريخي.

وعلى الرغم من كون الأوصاف السابقة للديمقراطية لا تنصرف عن هدف نبيل مؤداه كبح جماح السلطة وترويض طاقتها في سبيل بناء مجتمع مزدهر وحر، فأن ذلك لا يحمل معه الضمانة الأكيدة أو يضع السد المنيع للحؤول دون انقلاب سحر الديمقراطية وحلمها الشعبي "الوردي" إلى كابوس مروع تنسج تفاصيله النخب السياسية حينما تصيرها أداة طيعة لتحقيق تطلعاتها في الهيمنة وتحقيق المكاسب الذاتية على حساب الشعب الذي يستودعها ثقته، لاسيما إذا استبعد هذا الأخير عن خيمة السلطة وغابت عن وعيه محددات اللعبة الديمقراطية.

هذا إن يفضي الى الحد من السلطة – وفقا للمنظور الديمقراطي – سوى إلى نزع هيمنة الدولة واستبدالها بهيمنة العصبيات والهويات المغلقة على نفسها، وعلة ذلك كله تكمن في: "غياب الوعي الثقافي بقيم ومحددات الديمقراطية".

لتجنب هذه الانتكاسة المحتملة للديمقراطية، تبعث الحاجة لتبني واستنبات قيم الديمقراطية الغضة في التربة الثقافية للمجتمع، مع تهيئة كافة مستلزمات إنضاجها عبر تمكين الفرد من نيل حقوقه واكتساب شروط المواطنة الايجابية كافة.

ومما تقدم يمكن مسايرة الرأي القائل بأن من تمام اللامنطق أن نتصور أن زهرة الديمقراطية الغضة يمكن أن تنبت في تربة مجتمعية تتفشى فيها الأمية على الأقل بمحتواها السياسي أو حتى في تربة تكسو سطحها طبقة ظاهرية من الممارسات الديمقراطية المتعلقة بسقف السلطة السياسية والتي تحمل في أعماقها تركة ثقيلة من التقاليد التسلطية والأفكار

الانتماءات الفئوية والطائفية.
وهذا لا يعني إن الثقافة الديمقراطية الحقيقية تنكر وجود هويات فرعية "عرقية أو طائفية"، ولكنها بالمقابل لا تكرسها بديلا تتماهى في كنفه الهوية الوطنية والتضامن الجمعي والرغبة في العيش المشترك.

وصفوة القول إن الهوية الديمقراطية ينبغي أن تكون على المستوى الثقافي كما هي على المستوى السياسي: اندماجا بين الإرادة الخاصة والصالح العام، ففي ظلها لا يصوت الفرد بوصفه منتميا إلى أثنية أو طائفية بل بوصفه مواطنا، وعليه يصبح مفهوم المواطنة الحقة مفهوما محوريا وشرطا ضروريا ولازما لتكريس الديمقراطية ثقافة وممارسة.

وهكذا يمكن القول بان تحقق شروط المواطنة لن يكون سوى الوجه الواقعي للثقافة الديمقراطية. أي بعبارة أخرى إن إماطة اللثام عن كنه الثقافة الديمقراطية يفضي بنا إلى السير في طريق استكمال شروط المواطنة الصالحة، لأن العلاقة بينهما علاقة تلازم وارتباط تكاملي والواقع إن استنبات الثقافة الديمقراطية في المجتمع لابد أن يرد عبر بوابة الحاجة إلى الكشف عن ماهية ومكنون هذه الثقافة. وأول ما يقع عند عتبة هذا الباب إن الثقافة الديمقراطية تقوم في مقامها الأول على قاعدة المساواة التي تفترض ابتداءً هدم النظام التراتبي "التفاضلي" الموروث لتحل محله نظام المساواة في حق المواطنة والانتماء للوطن. ولكن المساواة كيما تكون ديمقراطية، لابد أن تعني حق الفرد في اختيار وجوده. وما لم تتضمن المساواة حق الفرد هذا فانها قد تنتهي – كما أثبتت التجربة التاريخية – إلى المجتمع الشمولي سواء بطبقته الفاشية أو السوفياتية.

كما إن هذه المساواة من زاوية أخرى ينبغي أن لا تناقض المعنى السائد في ظل التجارب الديمقراطية الليبرالية. إذ لا ينبغي لها أن تحدد بالمنظور القانوني أو السياسي بل ينبغي لها أن تتوسع مساحتها لتشمل جوانب اجتماعية واقتصادية، وهي الجوانب التي جنحت إليها اليوم بعض الدول الغربية تحت ما يسمى "الرأسمالية الاجتماعية" ونجحت في هذا المسعى نجاحا يمكن الإفادة من تعميمه لكن

الإسلامية.
وما تقدم يشجع القول بأن صورة المساواة المنشودة لا تكتمل إلا بردم الهوة بين الطبقات الاجتماعية والاقتصادية من جانب، وإلغاء المسافات المفروضة بين الحاكم والمحكوم وبين النخبة السياسية والقاعدة الشعبية من جانب آخر، وذلك تمهيدا لأحياء الحافز والحس الوطني لدى الفرد العادي.

وفي مسيرة التحري عن الهوية الثقافية الديمقراطية هذه تشخص الحرية كمطلب لا غنى عنه وركن أساس لا قيام للديمقراطية من غيره، فمن خلال هذه الحرية تتم الموائمة والموازنة بين جبروت السلطة وتطلعات الأفراد، لتتدفق الإرادات الفردية والجماعية للمواطنين عبر قنواتها المعروفة وبذلك تتجدد دماء المجتمع وتنبعث في أوصاله الحيوية والتجديد بعيدا عن ركودية النظم الشمولية الاستبدادية وجمودها، إن هذا التوافق والتوفيق بين حرية الأفراد وحرية المجتمع يجعل من الديمقراطية النظام الذي يمكن للأفراد – الأحرار أصلا – أن يطالبوا به ويدافعوا عنه بحرية، وما يجعل من الديمقراطية نظاما دائم التطور والتحول هو إنها تفسح أوسع حيز ممكن للأفكار والتيارات الجديدة.

وفي الوقت الذي يمكن فيه تعريف النظام الديمقراطي بأنه ذلك الشكل من الحياة السياسية الذي يعطي الحرية الأكبر للعدد الأكبر، فأن ذلك يتطلب توفير الحماية للتنوع والاختلاف وتأمين الظروف اللازمة لها لإعادة إنتاج نفسها بملء الحرية في إطار وحدة المجتمع، فالمجتمع الديمقراطي يكون ديمقراطيا بقدر ما يوالف بين حرية الأفراد واحترام الاختلافات والتنظيم العقلاني للحياة الجماعية عن طريق التأطير القانوني لحركة مكونات المجتمع، وبذلك يتبلور دور الثقافة الديمقراطية للتركيب بين الوحدة والتنوع وبين الحرية والاندماج.

وما تقدم يعبد الطريق لتكوين ثقافة الحوار والتسامح بين مكونات الشعب بوصفها الركن الثالث في نسيج الماهية الديمقراطية، وهذه المساحة من الهوية الثقافية الديمقراطية لا تنمو إلا في بيئة تقبل التعدد والاختلاف وتمارس الانفتاح الفكري والمعرفي، وتطلق سراح الرأي

معالم التسامح وثقافة الحوار في مجتمع تسوده ثقافة الإقصاء والانغلاق والتعصب إن ما يركن إليه البناء الديمقراطي، لا يكتف بإشاعة ثقافة قوامها القبول بالآخر فحسب، وتعزيز اطر ومؤسسات التفاهم والتفاعل البناء المختلف المحض، وإنما تكون وليدة غياب اطر ومؤسسات التفاهم والحوار المباشر.

ومع اكتمال عناصر الهوية الثقافية للديمقراطية، يصبح ضروريا في هذا المقام التساؤل عن كيفية استنباتها في الرحم الثقافية للمجتمع؟. والواقع إن عملية استنبات وانضاج القيم الديمقراطية لم ولن تكون عملية سهلة المنال أو محددة الأدوار والمسارات، لأن المراد يتعدى كثيرا محيط السلطة السياسية والبناء الفوقي للمجتمع ليطول البنية الثقافية للمجتمع برمتها، وهي بنية معقدة المكونات والتفاعلات وزاخرة بالتغيرات ومهددة بالمضادات اللاديمقراطية، كما إن المطلوب هو السعي لتكريس ثقافة حقيقية متجذرة في نفوس الأفراد وليست طارئة أو سطحية، يكون ديدنها التعقل وسياق فعلها التجربة والتصحيح لتلافي ما قد تفرزه الذهنيات والقيم التقليدية من مضادات معاكسة للمسار الديمقراطي، وفي هذا المضمار الحساس تبرز أهمية التربية والتعليم لتقليص الفجوة بين الفضاء النظري والواقع التجريبي لعملية الاستنبات الثقافي الديمقراطي.

وإذا كانت التربية – كمفهوم – تعني عملية تشكيل للشخصية الإنسانية لأفراد المجتمع واكتسابهم الصفات الاجتماعية والنفسية التي تجعلهم مواطنين صالحين في حدود الإطار الايدولوجي للمجتمع الديمقراطي، فان تشكيل الصفات النفسية والاجتماعية التي يضمها الإطار الديمقراطي من أهم ما يقوم علية البناء الثقافي للديمقراطية.

وتبدأ مسيرة الاستنبات الثقافي الديمقراطي أولى خطواتها في كنف الاسرة التي تعد اللبنة الأولى والمنطلق الأساس لغرس القيم والمبادئ والحقوق في نفوس أبناءها سواء بالمعاملة أو بالنصح والإرشاد.

إن إسهام الاسرة في عملية الاستنبات الثقافي الديمقراطي يبرز عبر عدة محاور تتمثل بالاتي:

١. على تحمل المسؤولية، فمن خلال توزيع الأدوار والحقوق والواجبات ووضع المحددات لاحترام النظام والعلاقات داخل المنزل، تنمو في الأفراد روح المشاركة وتحمل المسؤولية، والميل لاحترام قوانين المجتمع الأمر الذي يكون منطلقا لتكريس مبدأ سيادة القانون.
٢. المساواة في منح الفرص والمعاملة سبيلا لإشعار الأفراد بأهمية هذه القيمة ليس على صعيد الاسرة فحسب وإنما على صعيد المجتمع أيضا، ومن هنا تستمد الديمقراطية أهم امتداداتها الإستراتيجية على صعيد المجتمع.
٣. توسيع رقعة الحرية البناءة بين أفراد الاسرة ضمن إطار القيم والتقاليد المرعية في المجتمع وتمتد هذه الرقعة من الحرية على مساحة من إتاحة المجال للأفراد والتفكير والتعبير والتصرف بوحي من إرادتهم واختيارهم ودونما أية ضغوط، وعندما يستشعر الفرد أهمية الحرية على صعيد الاسرة لن يتوانى عن تعميم تجربته على نطاق المجتمع ولاسيما حينما تنعكس هذه الخاصية على أنماط سلوكه الاجتماعي.
٤. إشاعة مناخ من التسامح والألفة والمحبة بين أفراد الاسرة كوصفة لا غنى عنها في تمتين عرى الترابط بين الاسرة ومنطلقا لنشر هذه الروح الخلاقة في المجتمع بداعي الحفاظ على وحدته وتماسكه.

* مركز الفرات للتنمية والدراسات الإستراتيجية

المصادر

١. أنظر: الآن تورين، ما الديمقراطية؟ دراسة فلسفية، ترجمة عبود كاسوحة، "دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠".
٢. أنظر: جورج طرابيشي، في ثقافة الديمقراطية، "بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٩٨".
٣. أنظر: عبد الله محمد الشيخ، الديمقراطية والمعلم، بحث مقدم إلى المؤتمر "الديمقراطية والتربية في الوطن العربي"، "بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١".
٤. أنظر: محمد محفوظ، التسامح وآفاق السلم الأهلي، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، "بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين"، السنة

صرخة صحفية عراقية

شميرام بغدادي

قرأت مؤخرا وفي نشرات وسائل الإعلام العاملة في العراق خبرا مفاده "مقتل صحفية في الموصل" أو "مسلحون يغتالون صحفية عراقية في الموصل" ولمعرفة من هي تلك الصحفية كان علي البحث في تفاصيل الأخبار وقراءة الخبر المؤلف من أكثر من عشرة سطور لاكتشف في وسط الخبر إن من قتلت هي زميلة عزيزة علي تدعى "سروة عبد الوهاب". مشاعر مختلطة من الألم والحزن والاستياء والقلق شعرت بها.

قبل كل شيء أريد الاعتذار لكل أساتذتي الذين علموني إن من شروط الصحفي الناجح إن يتمتع بالحيادية والدقة في نقل الخبر، وهنا عليه أن لا يظهر صوته في نقل الخبر، وان لا يعبر عن رأيه أو يسمح لمشاعره بالظهور، لكنني هنا سأخرج عن كل ما تعلمته من قتل مشاعري في نقل الإحداث لأنني وببساطة لا اكتب تقريرا أو قصة خبرية أو انقل حدثا بل أسجل صرخة، صرخة بان لا يتم التعامل معنا كأرقام وان يذكر في نهاية الخبر كم عدد المقتولين من الصحفيين العاملين في العراق منذ سقوط نظام صدام في ٢٠٠٣، وكم منهم قتل هذا العام.

شعرت بالألم لمقتل تلك الانسانة الرائعة والتي اليوم سأخرج عن الإطار الصحفي لأقول من هي سروة ذات الـ ٣٥ عاما، سروة كانت تعج بالنشاط والحيوية والمحبة، وكانت سروة تحاول التمتع بكل لحظة تسمح لها بذلك، وكانت تدندن بأغان طربية وبصوت مسموع وان لم يكن عاليا في بعض الأحيان، وكانت ككل فتاة تطمح في الزواج والاستقرار وتشكيل عائلة لكن الإرهابيين لم يمنحوها فرصة ذلك.

إذن سروة ليست رقما جديدا يضاف لعدد الصحفيين المقتولين في العراق وليست صحفية عراقية تعمل في الموصل.

وشعرت بالاستياء لأنها كانت مجرد صحفية عراقية تعمل في الموصل، فقبل عام تقريبا قتلت احدى صديقاتي المقربات جدا وكانت تعمل في الموصل، وتغطية وسائل الإعلام كانت تفيد بـ "مقتل صحفية في الموصل" و"مسلحون يغتالون صحفية في الموصل"، فهل من المعقول إن من قتل هي صحفية عراقية فقط؟!، و تعمل في الموصل، وهي مجهولة الهوية، وان على القارىء أو المتتبع للإحداث إن يتعمق في قراءة الخبر ليدرك إن الصحفية المقتولة هي فلانة بنت فلان. فالتي قتلت قبل عام هي سحر الحيدري وتحديدا في السابع من

الإعلام مجرد "صحفية عراقية في الموصل".
لكنني اصرخ بأعلى صوتي وأقول "لا" هما ليستا رقمين جديدين يضافان لأرقام الصحفيين المقتولين في العراق، فسحر امرأة عراقية وزوجة وأم لأربعة بنات كانت تحلم بيوم زواجهن، كانت تعمل جاهدة لتوفير حياة جيدة لبناتها وتوفير الدواء لابنتها ذات الأعوام التسعة والمصابة بسرطان الدم، وسروة امراة عراقية أيضا ومحامية وابنة وناشطة في حقوق النساء وعاملة في مكتب لجنة الانتخابات وصحفية، وعندما قتلت صباح ذلك اليوم كانت تقوم بواجبها كابنة بارة حيث كانت تنقل أمها إلى الطبيب قبل أن يقرر الإرهابيون نقلها إلى العالم الأخر، وهنا اعتذر ثانية لأساتذتي لأنني وصفت من قتلوا سروة بـ "الإرهابيين" وليس بـ"المسلحين".

هناك قطعا ما يجمع سحر وسروة، فكلتاهما من بنات الموصل، وكلتاهما تحدتا الجماعات المتطرفة بالخروج للعمل ودون التقييد بالزي الإسلامي المفروض، والاهم كلتاهما كانتا في قائمة هدر دم أصدرتها جماعة إسلامية في ٢٠٠٧ وضمت عددا من الصحفيين العاملين في الموصل وألصقت على جدران عدد من المساجد أو أرسلت لبيوت عدد منهن، وقتل معظم من أدرج اسمه فيها إلا قليلين باتو ينتظرون دورهم. وسروة وسحر لم تمنحا فرصة التمتع بالحياة والفرح بتحقيق ما تحلمان به من أماني صغيرة، والاثنتان أغرقتا عيوني بدموعي العصية لفراقهما.

كما اشعر بالقلق حيال أصدقائي الصحفيين والذين اعرف أنهم مهددون لكن لا خيار لديهم سوى الاستمرار بالعمل والبقاء في العراق.

وهنا أدركت إن هروبي للنفاد بجلدي لم يقيني قطعا من مشاعر كنت أحاول التخلص منها، حيث بمقتل احد أصدقائي يقتل جزء مني و أدرك إن جسدي هنا لكن مشاعري وأحاسيسي معهم، وأنني أتعذب هنا أكثر من تواجدي في بلدي، حيث يغمرني شعور بتأنيب الضمير لكوني بعيدة وغير موجودة لمواساة الأحياء منهم والذين ينتظرون دورهم في طابور الموت.

وأعود لأقول إن من قتلت صباح الأحد الرابع من أيار ٢٠٠٨ هي سروة عبد الوهاب وليست صحفية عراقية من الموصل فحسب.

وان من قتلت في السابع من حزيران ٢٠٠٧ هي سحر الحيدري وليست صحفية عراقية من الموصل فحسب.